البلاغة العربية بين الموروث القديم واللسانيات الحديثة

أ. د.نشأت علي محمود

يعد البحث في البلاغة العربية من حيث شأنها وطبيعتها وخواصها ووظائفهامن أدق مباحث اللغة،لارتباط لبلاغة العربية بجميع فروع اللغة من معجم وصوت وصرف ونحو،ولبحث مسارات البلاغة العربية،وسنقدم أولا بحث نشأة البلاغة العربية،لأن ظروف لنشأة تبين لنا كثيراً من وظائف البلاغة العربية،فإن النشأة والوظيفة متلازمان من حيث إن النشأة ملزوم والوظيفة لازم،فإن تصور أسباب نشأة أي علم يلزم منه معرفة ذلك العلم بوجه ما ومعرفة وظائفه.

نشأة البلاغة العربية: لم تكن البلاغة العربية التي استقرت بفنونها الثلاثة وليدة بحث فرع معين من علوم اللغة،بل كانت هناك أربعة عوامل-في رأينا- اجتمعت في تكوين مباحث البلاغة العربية وهي:

أولا-إتجاه البحث الأدبي:

فقد كان لكتب الأدب الأثر الكبير في نشأة البلاغة،وذلك حين تعرَّضوا لبيان تعريف البلاغة أهميتها وحسنها وأوجهها وذكر أهم أنواعها،فالجاحظ في كتابيه البيان والتبيين والحيوان أشار الى كثير من خصائص البلاغة وأفضل وجوهها،فأما أهميتها فقد بيَّن أن البيان اللغوي الذي مدحه الله سبحانه في قوله(علمه البيان)١ هو الدلالة الظاهرة والواضحة على المعنى الخفي٢ ،والبيان هو بلاغة الإفهام وإيضاح المعاني للمتلقي وهو الغاية التي إليها يجري القائل والسامع٣ ،وأما ذكره لأوجه البلاغة التي صارت فيما بعد أصولا في البلاغة العربية فقد كان من ثنايا ذكره تعريفات البلاغة،فقد نقل تعريفات عدة صار لأكثرها بعد ذلك فصولاً أو مسائل في البلاغة العربية،ونحن نوجز التعريفات التي ذكرها الجاحظ وهي:

١-البلاغة هي معرفة الفصل من الوصل بين الجمل٤ ،وقد ذكره البلاغيون ضمن فن المعاني.

٢-البلاغة هي تصحيح الأقسام واختيار الكلام٥،للدلالة على التفصيل على الإجمال والإشارة الى مقتضى الحال.

٣-البلاغة هي حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الإطالة٦،للإشارة الى الإيجاز والإطناب ومواضع كلٌ منهما.

٤- البلاغة هي المعرفة بمواضع الفرصة٧ للإشارة الى مقتضى الحال

٥- البلاغة هي الإيجاز٨.للإشارة الى الإيجاز

٦-البلاغة هي الإيجاز من غير عجز والإطناب من غير خطل٩،للإشارة الى الإيجازوالإطناب.

وأما إشارات الجاحظ الى مسائل البلاغة وقضاياها فهي ليست بالقليلة ،فمن ذلك إشارته الى شرط فصاحة الكلمة المفردة بقوله((ومن صفات اللفظ الفصيح توافق الحروف ضمن الكلمة الواحدة))١٠ وشرط فصاحة الكلام بقوله((تقتضي الفصاحة أيضا عدم تنافر الكلمات ضمن الجملة الواحدة. وإذا تنافرت الألفاظ صعب النطق بها وبدت غير متلائمة وغير متوافقة))١١ وأما قوله((جمال البلاغة وذروتها في التماس حسن الموقع والمعرفة ساعات القول))١٢ فهو للإشارة الى مقتضى الحال،وإشاراته الى مقتضى الحال وأهميته في قوام البلاغة ليست قليلة،ومن ذلك مانقله عن بشر بن المعتمرقوله((ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدرا المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحاجات،فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولك حالة من ذلك مقاما..))١٣ ،وقد مدح الجاحظ الإيجاز كثيراً وتعوذ بالله من الإسهاب١٤ ،ووضح معنى الإيجاز ،فالإيجاز لايقصد به قلة اللفظ من غير أداء المقصودوإلا كان خطلا١٥.،وبهاء البلاغة وحلاوتها وسناؤها في الألفاظ المعدلة واللهجة النقية١٦،وأمثل طرق البلاغة وأحسنها اجتناب الألفاظ المتوعرة الوحشية على المتلقي أو التي صارت سوقية يتداولها العوام١٧،فصارت فصاحة الكلام –فيما بعد لاتتحقق إلا باجتناب الوحشي والغريب

والساقط السوقي من الألفاظ،ونبه إلى وجوب تجنب الألفاظ المتنافرة،وذكر البيت الذي تداوله البلاغيون فيما بعد ،وجعلوه مثالاً على تنافر الكلمات وهو١٨:

وقبر حرب بمكان قفر

وليس قرب قبر حرب قبر

والبلاغة عند الجاحظ هي أن تجري في كلامك على سنن أساليب العرب ومجاري كلامهم١٩،وبلاغة الكلام عنده تكون بذكر الجمل المتسلسلة التي يأخذ بعضها برقاب بعض بأن تكون الكلمة الى جنب أختها،فأجود الكلام مارأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج فتعلم بذلك أنه قد أُفرغ إفراغاً واحداً،وسبك سبكاً واحداً فهو يجري على اللسان كما يجري الدِّهان٢٠،وشرط لبلاغة الكلام أن تكون متضمنة جزالة الألفاظ مع فخامتها وعذوبتها وخفتها وسهولتها في المخرج وفي السماع وذلك لايكون في الألفاظ المتنافرة بل لابد من تلاقي الكلمة مع الكلمة،والكلام يثقل ويفقد بلاغته لأن الكلمة لم تُقرن إلى أختها ولم يجمع لها ماينعقد معها في سلكها٢١،وهو ماسمي عند البلاغيين فيما بعد بمراعاة النظير،وقد قال عمرو بن نجاة لبعض الشعراء أنا أشعر منك ،قال ولِمَ ذاك؟ قال لأني أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن عمه٢٢ ،وعاب رؤبة بن الحجاج شعر ابنه لأنه ليس لشعره قِران٢٣، وفي هذا إشارة الى وجوب انسجام النص وحبكه لكي يتصف النص بالبلاغة،وأشار الجاحظ الى التشبيه والاستعارة والمجاز سواء أكان من حيث التنظير أو من حيث التطبيق على شواهد القرآن الكريم مبينا مافيها من دقة تعبير٢٤،وذكر الجاحظ باب اللغز في الكلام وهيأ فيه –فيما بعد- للبلاغيين بحث الأسلوب الحكيم٢٥،وقد نص ابن المعتز على أن المذهب الكلامي المقصود به الاستدلال العقلي-عموما- هو وليد تسمية الجاحظ له٢٦،وأما ذكره لعلاقات المجاز المرسل فقد كانت مهمة لتوسيع هذا المفهوم في كتب البلاغة بعد ذلك بل إن بحثه في علاقات المجاز المرسل يعد البداية الحقيقية لعلاقات المجاز المرسل في كتب البلاغة بعد ذلك لأنه صرح بالانتقال المجازي، فقد ذكرالجاحظ علاقتين هما تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه، وذلك في بيان قوله تعالى: (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه)٢٧ إذ قال "فالعسل ليس بشراب، وإنما هو شيء يحوّل بالماء شراباً، أو بالماء نبيذاً. فسمّاه كما ترى شراباً، إذ كان يجيء منه الشراب"٢٨، ثم أردف هذا بذكر علاقة أخرى هي المحلية، باعتبار أن آية النحل على المجاز، والمجاز جارٍ في كلام العرب، فقال ((وقد جاء في كلام العرب أن يقولوا: جاءت السماء اليوم بأمر عظيم. وقد قال الشاعر٢٩

إذا سقط السماء بأرض قوم

رعيناه وإن كانوا غضابا

فزعموا أنهم يرعون السماء، وأنّ السماء تسقط))٣٠، فلو تتبعنا المباحث البلاغية التي ذكرها الجاحظ تنظيراً أو تطبيقاً في كتابيه لتحصل لنا منه سفر بلاغي عظيم.

ثانيا- اتجاه النقد الأدبي:

فإن الملاحيظ النقدية التي رافقت النصوص الأدبية من شعر ونثر كان لها الأثر في صناعة علم البلاغة،فقد تضمنت كتب النقد الأدبي بحوثا بلاغية وإشارات في نقد بلاغة النص،ولاسيما النص الشعري،كما كان جلُّ أحكامهم النقدية مبنياً على التوصيف البلاغي للنص،ولاشك أن نقد النص الأدبي على أساس البلاغة يسهم كثيرا في توسيع مباحث البلاغة فضلا عن كون هذا الاتجاه صار معطىً رئيساً في إنشاء معايير كلية يرجع إليها الشعراء والكتاب في إنشاء النص المقبول.فجودة الكلام مرجعها إلى جودة الابتداء وبعضهم أرجعها الى جودة القطع والقافية،٣١،وقد ذكر الجاحظ كثيرا من آرائه النقدية البلاغية التي كانت مرجعا للنقاد من بعده٣٢، وأعلى مراتب الشعرماجمع جودة اللفظ وحسن المعنى٣٣،وجودة اللفظ في أن لايشتمل النص على وحشي الكلام وغريبه وماكان غير شائع بين الناس٣٤،ولابد أن يتصف النص بصحة التركيب بأن لايخرق قواعد الإعراب٣٥،ويوجز ابن قتيبة ضوابط النص الشعري أو النثري الجيد سواء أكان خطاباً أو كتابةً بأن يختار المتكلم ((أحسن الروي وأسهل الالفاظ وأبعدها عن اللتعقيد والاستكراه وأقربها الى فهم العوام))٣٦، وأكثر عيوب الشعر التي ذكرها ابن قتيبة صارت بعد ذلك مما يجب اجتنابه لتحقق فصاحة الكلمة أو الكلام كعيوب الصرف والإعراب واستعمال غريب اللفظ٣٧،ثم وضحت معلم النقد عن ابن رشيق،فكانت آراؤه النقدية بمثابة أبواب للبلاغة العربية،فآراؤه في بناء النص اللغوي وتلاحمه بأن يكون نسقا بعضه مبني على بعض أخذت من نقده لشعر زهير وشعر أبي ذؤيب٣٨ ،وجيد الشعر ماكان متلاحم الأجزاءمسبوكاً بأن يكون متناسبا٣٩ وكانت آراؤه النقدية قائمة على التوصيف

البلاغي حين نقد شعر أبي تمام والبحتري وابن المعتز ومسلم بن وليد والأعشى وبشار٤٠،بل بحث ابن رشيق في العمدة تعريف البلاغة والايجازوأنواعه والتقديم والتأخير والمجاز والكناية والاستعارة والتمثيل وعقد مبحثا واسعا للتشبيه ثم تابع في ذكر موضوعات فن البديع،وكل هذا كمانرى هو مباحث بلاغية ثبتت بعد ذلك في كتب البلاغة ولكنها كانت أولا مباحث نقدية تبين المعيار الصحيح في الشعر والنثر،ثم صارت بعد ذلك من صميم علم البلاغة،وتبحث في كتب البلاغة العربية.

ثالثا- اتجاه كتب إعجاز القرآن:

تعدّ الرسائل والكتب التي ألفت في إعجاز القرآن أهم مسار أثر في تكوين مباحث البلاغة العربيةنوذلك عند بحثهم سبب إعجاز القرآن الكريم الذي هو معجزة النبي محمد صلى الله عليه وسلم،فقد ذكر الرماني سبعة وجوه لإعجاز القرآن الكريم وهي:

١-ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة٢-التحدي للكافة٣-الصّرفة ٤-البلاغة ٥-الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية ٦-نقض العادة ٧-القياس بكل معجز٤١،وقد استقر الأمر عند من بحث وجوه إعجاز القرآن أن سبب الإعجازهو مافيه من البلاغة ومن النظم٤٢،وبعد أن استقرار هذا الأمرتوسع علماء إعجاز القرآن في شرح مفهوم البلاغة والنظم وبينوا أنواع البلاغة وأقسامها،فقد قسّم الرماني وتبعه الباقلاني أنواع البلاغة إلى عشرة أقسام هي الإيجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان٤٣،ولاشك أن هذه الأقسام صارت لبنة للأبحاث البلاغية التي جاءت بعد الرماني،وأما الخطابي فقد طرق مفهوم نظم الكلام٤٤،وذكر أن عمود البلاغة هو مطابقة الكلام لموضعه الخاص الأشكل به الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه إما تبدل المعنى وإما ذهاب الرونق٤٥،وبين أن أهل البلاغة قد اصطلحوا على ترك استعمال الوحشي من الكلام٤٦،فصار البحث البلاغي بعد هذا الشغل الأهم في كتب إعجاز القرآن،وتمثلت البلاغة في كتب إعجاز القرآن في أمرين هما زيادة المصطلحات البلاغية وتوسع التقسيمات البلاغية فظهر للإيجاز أقسام كما ظهرت تقسيمات للتشبيه والاستعارة٤٧،بل عاب الباقلاني على من ظن أن وجوه البلاغة محصورة في الأقسام العشرة التي ذكرها الرماني،ورأى أن هذه الوجوه ليست هي البلاغة بل لابد من أن يقال هي من وجوه البلاغة٤٨،وهذا يفيد أن البلاغة توسعت مباحث البلاغة شيئا فشيئا،وههنا أمر لابد من الإشارة اليه وهو أن البلاغة صارت بعد ذلك تدرس للاطلاع على حقائق إعجاز القرآن الكريم،أي إن الأمر أخذ طريقة العكس،فبعد أن كان البحث في إعجاز القرآن سبباً في توسع مباحث البلاغة وإنشاء قضايا بلاغية جديدة استنبطت من الشاهد القرآني فحسب٤٩،صارت البلاغة سبباً في معرفة حقائق الإعجازومعرفة أبعاده،ولهذا قال أبو هلال العسكري((وقد علمنا أن الإنسان إذا أهمل علم البلاغة وأضل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ماخصه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب)) ٥٠ ،بل صار علم البلاغة((علم يمكن معه الوقوف على معرفة أحوال الإعجاز لأن الإجماع منعقد من جهة أهل التحقيق على أن لاسبيل الى الاطلاع على معرفة حقائق الإعجاز وتقرير قواعد الفصاحة والبلاغة إلا بادراك هذا العلم وإحكام أساسه))٥١،فاتخذ مساراً عكسياً بأن صارت مباحث البلاغة سبباً الى معرفة حقائق إعجاز القرآن الكريم بعد أن كان الإعجاز القرآني سبباً في نشوء مفاهيم البلاغة وتوسع مباحثها.

والقصد من كل ماتقدم أن علماء إعجاز القرآن ساهموا كثيراً في البحث البلاغي بعد أن استقر عند الأكثرين أن سبب إعجاز القرآن هو ماتضمنه من البلاغة التي وصلت إلى أعلى مراتبها مع عبقرية النظم.

رابعا-اتجاه الرد على المشككين:

فقد ظهرت أقوال في العصور الأولى لنزول القرآن الكريم تشكك في القرآن الكريم وتطعن في بلاغته،وقد كان هذا التشكيك دافعا قويا في نشأة البلاغة لعربية،فإن الطاعنين طعنوا في استعمال كلمات أوورود سياقات في القرآن الكريم من أجل التشكيك في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ،فانبرى لهم العلماء للرد على الطاعنين والمشككين،فكان من طعنهم قلة ورود الغريب في القرآن الكريم واستعمال المعروف بين الناس ووجود الحذف الكثير والتكرار والتداخل٥٢،وقد رد الجاحظ على الطاعنين في القرآن الكريم وأرجع الأمر الى عدم العلم بوجوه اللغة وتوسّع العرب في لغتها، وفهم بعضها عن بعض٥٣،وقال ابن قتيبة ((وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا

فيه وهجروا، واتبعوا ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغاءَ تَأْوِيلِه... ثم قضوا عليه بالتّناقض، والاستحالة، واللّحن، وفساد النّظم، والاختلاف... فأحببت أن أنضح عن كتاب الله، وأرمي من ورائه بالحجج النيّرة، والبراهين البيّنة، وأكشف للناس ما يلبسون)) ٥٤ ،وقد ذكر ابن قتيبة أنواع الطعون ومنهاالمجاز بالإضمار والحذف والزيادة والتقديم والتأخير والاستعارة والمقلوب(أي ذكر الشيء بضد صفته) والكناية والتكرار٥٥،فصارت مواضع الطعن والتشكيك مباحث بلاغية قيمة،إذ إذ انبرى العلماء في بحث وجوه البلاغة فيها،لتكون إعجازا بلاغيا ،فكأن الطعون كانت البذرة التي أنبتت الأبحاث البلاغية ،ويلحظ أن هذا الاتجاه لم يقم بإنشاء مصطلحات بلاغية بل عمل على توسيع مباحث البلاغة ولاسيما فيما ورد الطعن والتشكيك فيه،فتوسعت مباحث الحذف والمجازوالاستعارة والتشبيه.

تكون علم البلاغة :

إن عوامل نشاة البلاغة العربية كانت امتداداً للبحث الأدبي والنقدي والعقدي،فاجتمع في الأبحاث البلاغية من مجموع الاتجاهات الأربعة في نشأة البلاغة الذوقُ والمعياريةُ وقوةُ الدليل،وهذه المحاور الثلاثة هي جذور قيام علم البلاغة بأن يكون علما مستقلا بمصطلحاته وتقسيماته،فاستقرت البلاغة العربية عند عبد القاهرالجرجاني على تضمنها الأبحاث التي وردت في كتب الأدب وكتب النقد الأدبي وكتب إعجاز القرآن وأضاف اليها في دلائل الإعجاز مااختاره في وجه إعجاز القرآن وهو مااشتمل عليه من النظم مع بلاغة الأسلوب وبين جهات الاستحسان البلاغي بالشاهد والدليل لما ذكر إجمالا في كتب النقد وكتب إعجاز القرآن مما أُجمِل القولُ فيه من فصاحة القرآن وبلاغته. ففصّل الإجمال في بلاغة الجمل الخبرية والوجه البلاغي في الحذف والتقديم والتأخير والفصل والوصل وغيرها مع ضبط موارد كل باب،ويمكن أن يقال إن الجرجاني ثبت أركان علم البلاغة لما يأتي:

١- بيان الوجه البلاغي لكل بحث بلاغي،فلم يرتض العموميات وإجمال الكلام وإرسال القول من غير تفصيل لبيان الوجه البلاغي وتحصيل جهة البلاغة بل لابد من أن((تضع اليد على الخصائص التي تعرض في نظم الكلم وتعدّها واحدة واحدة وتسميها شيئا فشيئا وتكون معرفتك معرفة الصَّنِع الحاذق الذي يعلم علم كل خيط من الإبريسم الذي في الديباج)) ٥٦ ،وقد نبه على هذا في كل مباحثه البلاغية كما صرح بهذا في قوله((وقد وقعَ في ظنونِ الناسِ أنه يكفي أن يقالَ : إنه قُدّم للعناية ولأنَّ ذكرَه أهمُّ من غير أن يُذْكرَ من أين كانت تلك العنايةُ وبِمَ كان أهمَّ ولتخيُّلهم ذلك قد صغُر أمرُ التقديمِ والتأخيرِ في نفوسهم وهوَّنوا الخطبَ فيه . حتى إنك لترى أكثرَهُم يرى تتبُّعَه والنظرَ فيه ضرباً من التكلُّف . ولم تَر ظنّاً أزرى على صاحبِه من هذا وشبهِه وكذلك صَنعوا في سائرِ الأبواب فجعلوا لا ينظُرونَ في الحَذفِ والتَّكرار والإظهارِ والإضمار والفصلِ والوصلِ ولا في نَوْعٍ من أنواعِ الفروقِ والوجوه إلا نظرَك فيما غيرهُ أهمُّ لك بل فيما إنْ لم تعلمْهُ لم يَضُرَّك . لا جرمَ أنّ ذلك قد ذهبَ بهم عن معرفةِ البلاغةِ ومنعهم أن يعرفوا مقاديرَها وصدَّ أوجههم عن الجهةِ التي هي فيها والشِقِّ الذي يحويها والمداخلُ التي تدخل منها الآفةُ على الناس في شأنِ العلم)) ٥٧

٢- بيان أقسام الأبواب البلاغية وتفصيلها،فبين مواضع التقديم والتأخير ومواضع الحذف وفروق الخبر وفروق الحال وأنواع الفصل والوصل بحيث صارت قوانين الفصل والوصل التي عرضها هي الأساس لمن بعده في هذا الباب٥٨ أقسام التشبيه والتمثيل والاستعارة و الحقيقة والمجاز بما لم يسبق إليه في تفصيل الأقسام،بل إن الجرجاني هو اول من قسم المجاز الى عقلي ولغوي٥٩،وقد سمى الجرجاني المجاز العقلي بالحكمي في دلائل الإعجاز وقد جعله كنزا من كنوز البلاغة وبه يكون الاتساع في طرق البيان والكلام ٦٠،

٣- بيان الفروق الدقيقة بين الأقسام ففرق بين الاستعارة والتشبيه وبين الفروق الدقيقة في أنواع الاستعارات والتشبيهات وبين الفرق بين المجاز العقلي واللغوي وبين المجاز والباطل٦١.

٤- وضوح الاصطلاح وتخليص المصطلحات وتخصيصها لمعنى خاص بها،ولم يُجز إطلاق المصطلح البلاغي على غير مفهومه إلا على طريق التوصيف اللغوي كما في مأأسماه بالطريقة العامية في

إطلاق الاستعارة على ماليس أصله التشبيه،فقال الجرجاني((وربما وقع في كلام العلماء بهذا الشأن الاستعارة على تلك الطريقة العامية إلا أنه لايكون عند ذكر القوانين وحيث تقرر الأصول)) ٦٢،وأما إذا أطلق المصطلح البلاغي في فنه فلابد من مراعاة المصطلح فقد ذكر المتقدمون الاستعارة في فن البديع،وهو عارية إلا أن الجرجاني اعتذر عن السابقين بأنهم قصدوا إدخال المجاز في البديع باعتبار ((أن كل موصوف بأنه مجاز فهو بديع عندهم)) ٦٣. ،فقامت على هذين الأمرين عملية تصنيف المسائل التي تعدّ الأساس لتوصيف الأبحاث البلاغية بالعلمية.

فثبت علم البلاغة وتبينت معالمه بتصنيف أقسامه ووضوح الفروق بينها وتخليص المصطلحات بأن لايذكر مصطلح في غير موضوعه.

ومما يميز كتب الجرجاني كثرة الشواهد البلاغية التي كان يأتي بها في توضيح المفاهيم البلاغية،مع بيان الوجه البلاغي لكل شاهد بلاغي يذكره،ولاشك أن كثرة التمثيل والاستشهاد يضع اليد على مواطن الفن والجمال البلاغي،واستشعار الفن البلاغي وتذوقه،وهذا هو الطابع الذي وسم به كتابا الجرجاني.

وأما أبرزبحث بلاغي فصل فيه الجرجاني الكلام فيه فهو معنى المعنى أوالمعانيا الثواني،فاللفظ إما أن يدل على معناه بدلالته الوضعية اي بدلالة اللفظ وحده على تسمية الجرجاني وإما أن يدل اللفظ على معنى ثم يدل ذلك المعنى على الغرض المقصود وقد حصر الجرجاني معنى المعنى في الكناية والاستعارة والتمثيل٦٤ وهو ماعبر عنه بقوله((ها هنا عبارةٌ مختصرةٌ وهي أن تقولَ المعنى ومعنى المعنى تعني بالمعنى المفهومَ من ظاهرِ اللفظِ والذي تصلُ إليه بغيرِ واسطَة وبمعنى المعنى أن تعقلَ من اللفظ معنًى ثم يُفْضي بكَ ذلكَ المعنى إلى معنًى آخرَ)) ٦٥،وقد أصبح هذا المفهوم أساس البحث البلاغي في علم البيان عند السكاكي حين أرجع علم البيان الى اعتبار الملازمات بين المعاني على أن تكون هذه الملازمات باعتبار ماهو في اعتقاد المخاطب سواء أكان هذا التلازم بين المعنى الأول والثاني بسبب التلازم المتعارف بين المعنيين في عرف الناس كدلالة كثرة رماد القدر على الكرم أم لغير عرف ،إذ العبرة أن يكون التلازم بين المعنيين في اعتقاد المخاطب٦٦،ورأينا تصريح الجرجاني بأن معنى المعنى هوالغرض الذي يقصده المتكلم.

وقد جاء السكاكي فثبتت على يديه دعائم علم البلاغة واستقر هذا العلم بحدوده وتقسيماته فصارت البلاغة عنده في رأينا صناعة وفناً وتابعه القزويني في الإيضاح،،فقد قسم علم البلاغة على يديه ليتناول ثلاثة فنون هي فن المعاني وفن البيان وفن البديع،فضبط موضوعات علم المعاني بالخبر والإنشاء،لأنه نظر الى مفهوم التركيب اللغوي باعتبار ماينجزه في الواقع،وعلق تحول التراكيب بمقتضى الحال٦٧ ،وأرجع علم البيان الى معرفة التلازم بين المعاني كما تقدم قبل قليل،فبحث التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية باعتبار تعلقها بالتلازم الذي يتصوره المتكلم بين المعنى الأول والذي بعده،ثم ختم علم البلاغة بفن البديع الذي قسمه على قسمين احدهما يرجع الى المعنى والآخر يرجع الى اللفظ٦٨.

وبعد فيمكن إيجاز توصيف البلاغة العربية في الموروث القديم منذ بدء نشأتها حتى استقرارها على يد السكاكي والخطيب القزويني بما يأتي:

١-إن البلاغة العربية هي وحدة واحدة يكمل بعضها بعضا لأن البلاغة وإن بدأت على شكل أبحاث متناثرة على وفق مقصود كل اتجاه من الاتجاهات الأربعة التي كانت سببا في نشأة علم البلاغة ولكن يجمعها وحدة الموضوع وترابط موضوعاتها ومسائلها،فليس فن البيان مفصولا عن فن المعاني ،ففن المعاني عرفه السكاكي باعتباره علما بأنه ((تتبع خواصّ تراكيب الكلام في الإفادة ومايتصل بها من الاستحسان وغيره،ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على مايقتضي الحال ذكره))٦٩،وعرفه الخطيب ((بأنه علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال))٧٠،فشرط تحقق علم المعاني أن يكون اللفظ السليم لغويا مطابقا لمايقتضي الحال ذكره،فالمعنى الذي يدل عليه التركيب لابد أن يكون موافقا للاعتبار المناسب للكلام الذي هو مقتضى حال النص،وقد عرف السكاكي فن البيان باعتباره علماً بأنه ((معرفة ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه))٧١.فالزيادة في

وضوح الدلالة ونقصانها مرتبطة بمطابقة الكلام لتمام المقصود منه،ولهذا قال التفتازاني((وأراد بالمعنى الواحد على ماذكره القوم مايدل عليه الكلام الذي روعي فيه المطابقة لمقتضى الحال))٧٢،ففن البيان لن يتحقق إلا بعد إنجاز خواص فن المعاني، فأساليب التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية لاتخرج عن كونها جملة خبرية أو إنشائية،وتتضمن مابحثه علماء البلاغة في مجريات فن المعاني،ثم إن علماء البلاغة عرفوا علم البديع بأنه((علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة))٧٣،فلايتحقق فن البديع بتحسين الكلام وتزيينه معنى ولفظاً إلا بعد رعاية فن المعاني وفن البيان وقد شبّه التفتازاني فصل فن البديع عن صاحبيه بأنه ((كتعليق الدرر على أعناق الخنازير)) ٧٤،فظهر أن فنون البلاغة لثلاثة متعالقة فيما بينها،مترابطة في مسائلها،فالبلاغة هي علم واحد،ولهذا نؤثر تسمية كل قسم منها بأنه فن،فنقول فن المعاني مثلا ولانقول علم المعاني،لأن الثلاثة متعالقة لتكون علم البلاغة،ولهذا نرى من الخطأ بمكان أن يقوم تحليل النص في اللغة العربية على مقتضيات واحد من فنون البلاغة الثلاثة،فلا يصح تحليل النص على مقتضيات علم المعاني فقد وقل مثل هذا في صاحبيه،لأن فنون البلاغة الثلاثة متعالقة متلاحمة.

٢- إن البلاغة ليست رياضا لمعرفة جمالية النص وليست تذوقاً لحلاوته كما يظن الكثير ممن لم يراجع النظر في كتب البلاغة ولم يطلع على ظروف النشأة،كما أنها ليست محصورة في في تمييز الكلام البليغ من غيره،فتكون قاصرة على النصوص المنجزة فيظن البعض أن البلاغة العربية مرجعها إلى إبراز بلاغة القرآن الكريم وبيان مكامن إعجازه فحسب،ولاشك أن هذا المقصد ذو شأن عظيم،وهو أحد الأسباب الرئيسة في سبب نشأة البلاغة،ولكن البلاغة العربية توسعت مباحثها وقضاياها فصارت فرعاً من علوم اللغة ولعله سنامها،بل صار من مسالك البلاغة ووظائفها معرفة مسالك إنجاز النص الذي يحمل سلامة التركيب وصحة المعنى،فههنا أمران بحثتهما البلاغة العربية وهما:

أ- سلامة التركيب من حيث الصناعة الصرفية والنحوية،وذلك حين شرطوا أن تكون الكلمات المستعملة على وفق القياس الصرفي وأن يكون الكلام خالياً من ضعف التأليف ومن التعقيد اللفظي بأن يكون نظم ترتيب الكلام مختلاً،أي ماسلم نظمه من الخلل النحوي٧٥.

ب- صحة المعنى :فالتركيب السليم نحوياً وصرفياً لابد أن يشتمل على معنىً صحيحاً،ولايصح أن يكون المعنى متناقضاً،ولعل علماء البلاغة استقوا هذا الأمر من كلام سيبويه حين ذكر باب الاستقامة والإحالة من الكلام،فالمستقيم الحسن نحو أتيتك أمس وسآتيك غدا،والمحال أن يتضمن الكلام معنيين متناقضين نحو سآتيك أمس وأتيتك غدا٧٦،فالبلاغة لاترضى أن يحمل الكلام معنى محالاً غير مقبول ولهذا خطأ عبدالقاهر الجرجاني قول القائل(أكتب هذا الكتاب)فهذا قول فاسد غير صحيح،لأن الشيء المشاهد لايصح السؤال عنه٧٧.

لقد أشار الجرجاني إلى أن من غايات البلاغة ومقاصدها إنجاز النص الذي يحمل سلامة التركيب وصحة المعنى حين عرَّفنا بطرق الإنجاز الصحيح والإنجاز الخطأ حين قال((تقول أقلت شعراً قط؟ أرأيت اليوم إنساناً؟ فيكون كلاماً مستقيماً،ولو قلت أأنت قلت شعراً قط؟ ،أأنت رأيت إنساناً ؟ أحلت،وذلك أنه لامعنى للسؤال عن الفاعل من هو في مثل هذا،لأن ذلك يتصور إذا كانت الإشارة الى فعل مخصوص نحو أن تقول :من قال هذا الشعر؟ومن بنى هذه الدار؟))٧٧،فليست السلامة النحوية والصرفية هي المطلوبة فحسب لتحقق النص البليغ،بل لابد من صحة المعنى الذي يحمله التركيب السليم،ولهذا كان الأمر الأول الذي ترجع له البلاغة هو الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد سبب في إنجاز النص البلاغي ،ولاشك أن تأدية المعنى يراد به تأدية المقصود.

فالبلاغة العربية قامت على غايات متنوعة منها التعريف بطرق إنجاز النص الذي يوضح المقصود،ولهذا ذكر علماء البلاغة مسالك إنتاج النص الخبري والنص الإنشائي أي النص الذي يتضمن طلباً ما،

٣-النص في البلاغة العربية هو ماكان

متعالقاً منسجماً متلاحماً فالجملة تعالق أختها ليكون النص كأنه مسبوك سبكاً وقد تقدم سابقاً ماعاب به بعض الشعراء على آخر حين قال له انت تقول البيت وابن عمه وأنا أقول البيت وأخاه،فالنص لابد أن يكون منسجماً في المفهوم البلاغي،وهذا الانسجام له آليات بحثها البلاغيون في باب الفصل والوصل،ولابد من وجود ماوسمه البلاغيون بالجهة الجامعة التي يتصورها المتكلم٧٨بين الجملتين المتعالقتين وصلاً أي عن طريق الربط اللفظي وهكذا فيما بعدهما من الجمل إلى أن يكتمل النص والجهة الجامعة يقصد بها اتحاد الجملتين في أمر ما وفي أي نوع من أنواع الاعتبارات ولهذا نبه القزويني على حاجة البليغ إلى التنبه إلى معرفة الجهات الجامعة بين الجمل، ويبدو جلياً أن الجهات الجامعة مرجعها الواقع والبيئة وماتعارف عليه الناس وإن قسم الجامع إلى عقلي ووهمي وخيالي ،وقد صرح كل من القزويني والتفتازاني بأن مرجع الجهة الجامعة ولاسيما الخيالي هو الإلف والعادة٧٩،ولكنها جهات جامعة مأخوذة من الواقع الخارجي،وأما في الفصل أي حين تعالق الجمل من دون أداة لفظية فلابد من وجود الجهة الجامعة من حيث الربط المعنوي كأن تكون الجملة الثانية لها ملابسة من أي نوع بالجملة الأولى ،كأن تكون الجملة الثانية توكيدا للأولى أو بدلاً أو تفصيلاً لإجمال أو بياناً لسبب أو علة أو إيضاحاً لإبهام٨٠،ولعل العلاقات غير محصورة لتكثرها لأن الربط يكون لأدنى ملابسة.ويمكن أن نقول إن مبحث الفصل والوصل هو أمثل ماوصلت إليه الدراسات اللغوية العربية في بيان طرائق إنسجام النص وبيان العلاقات الكلية الجامعة في ترتيب الجمل داخل النص،ويمكن أن نقول إن معطيات الفصل والوصل في تكوين النص قائمة على ثلاثة مقاصد مجتمعة هي:

أ- مراعاة الصناعة النحوية ،ولهذا أوجبوا الفصل بين الجمل الخبرية والإنشائية وربطوا الجملتين الاسميتين فيما بينهما وبين الفعليتين كذلك، وجعلوا الربط بالواو على معنى التشريك بالحكم من غير ترتيب وأما الفاء وثم فإنهما يقتضيان ترتيباً في وقوع الحكم بين الجملة الأولى والثانية٨١،وكل هذا مستقى من البحث النحوي.

ب-مراعاة المتلقي في الربط بين الجمل في النص الواحد،ولهذا أوجبوا وجود الجهة الجامعة في مسائل الوصل والربط المعنوي(وجود المناسبة) في مسائل الفصل٨٢،ليتسنى للمتلقي تعليقه للجمل وفهمها مترابطة منسجمة،وإلا تعسر ربط المتلقي للجمل داخل النص.

ج-مراعاة قصد المتكلم وإن خالف الصناعة النحوية،ولهذا أوجبوا دخول الواو الرابطة بين الجملة الخبرية والإنشائية مع أنه مخالف لقواعد النحو فيما إذا حصل لبس في فهم قصد المتكلم في مثل قولهم :لا وشفاك الله،أو لا ورحمك الله فهو لدفع توهم خلاف لمقصود٨٣ .

٤- لكل مقصد أسلوبه:لاعلم عندنا من علوم اللغة يعرِّف بطرائق إنتاج أساليب الكلام على وفق مقاصدها سوى علم البلاغة،فلكل مقصد أسلوبه،ولانقول لكل أسلوب مقصده،فهذا لاشك فيه ،لأن الكلام وضع لكي يصل المتكلم الى مقصده بالإبلاغ،ولكنا نقول إن علماء البلاغة جعلوا لكل مقصد أسلوبه،بيد أنهم نبّهوا على مقاصد كلية ومقاصد جزئية تتدرج ضمن المقاصد الكلية، وبعد استقراء المقاصد التي ذكرها عبدالقاهر الجرجاني والسكاكي والقزويني تبيّن لي أن مقاصد البلاغة خمسة وهي: الإيضاح والمبالغة والجمال والإثارة والإيجاز،وهذه المقاصد الخمسة تأتي بعد تضمن النص دلالات على المعنى المقصود حقيقة أو عن طريق الدلالات المجازية،فلا يخرج أي اسلوب أو أي نص عن هذه المقاصد الكلية الخمسة،ولابد من الإشارة الى أن النص أو الأسلوب المنجز بلاغيا قد يتضمن أكثر من مقصد بأن يتضمن الإيضاح والمبالغة أو الإيجاز والإثارة والجمال،ولاشك أنه كلما زادت مقاصد النص الواحد(الأسلوب الواحد) ارتفعت بلاغة النص ،وقد مدح هذا الأمر علماء البلاغة وعبّروا عنه بزيادة المعنى٨٤،والمتتبع لكتب البلاغة العربية يجد الكلام في مقاصد المتكلم منتشراً في جميع مباحث البلاغة،كما في بحثهم في أضرب الخبر٨٥،وحذف المسند إليه

له مقاصد متنوعة ذكرها القزويني وهي لمجرد الاختصار والاحتراز عن العبث أو ماذكر مع ضيق المقام أو لاختبار تنبه السامع له عند القرينة أو مقدار تنبهه وإما لأن الخبر لايصلح إلا له حقيقة أو ادعاءً أو غير هذا٨٦ وقريب مما ذكر مقاصد حذف المسند٨٧ ،وهي مقاصد جزئية وولكنها لاتخرج عن مقصدية الإيجاز أو الإثارة أو المبالغة،وذكر المسند إليه له مقاصد كزيادة الإيضاح والتقرير أو للتنبيه على غباوة السامع أو لإظهار تعظيمه أو لبسط الكلام حيث الإصغاء مطلوب من المتلقي أو غير هذا٨٨،وهي مقاصد جزئية لاتخرج عن مقصدية الإيضاح أو المبالغة أو الإثارة،وأحوال الإسناد الخبري كلها مرتبطة بمقاصد المتكلم،وكل أسلوب من أساليب الإنشاء له مقصد،والإيجاز والإطناب لهما مقاصد،والتشبيه له مقاصد لايخرج عنها وأوجزها العلوي في الطراز بثلاثة مقاصد هي المبالغة أوالإيجاز أوالإيضاح٨٩،وأقول أمراً وهو أن كل ما جاء للإبهام أو التعمية أو الإغماض على المتلقي في أساليب التشبيه أو الاستعارة أو بعض مواضع فن البديع هوراجع الى مقصد الإثارة وقد يشتمل الاسلوب على مقصد آخر فيزيده قوة في الإبلاغ والبلاغة. ولسنا بصدد ذكرالمقاصد الجزئية التي ذكرها علماء البلاغة وبيان الأسلوب المناسب لكل مقصد،فهذا له موضع آخر ونسأل الله إتمامه وإنجازه قريباً،لعله يمثل رؤية جديدة في طريقة البحث البلاغي.

البلاغة العربية واللسانيات الحديثة:

إن اللسانيات هي دراسة علمية للغة،وباعتبار أن اللسانيات ذات طابع علمي محدود،فلها ماللعلوم الأخرى من مفهوم كلي يضبطها وموضوع تحمله ونسبة تنتسب فيها وكونها لها فوائد ووظائف،وقد درست اللسانيات باعتبارين:

١-باعتبار كونها علماً كلياً ينطبق على الألسن واللغات كلها،أي يمكن تسميته دراسة اللسانيات بالاعتبارالعام،فهي تحمل المبادئ الكلية الشاملة التي تكون فيها كل لغة من اللغات جزئية تدخل ضمن الكلي العام،وقد وسمت هذه الدراسات بالنظرية اللسانية العامةأو فيما اصطلح عليه تشومسكي بالنحو الكلي،واللسانيات بهذا الاعتبار هي عبارة عن قواعد كلية نظرية حاملة لقضايا تنظيرية ليست خاصة بلغة دون أخرى،ونجد هذا التصور الفرضي عند اللساني الدانماركي لويس هيلمسيلف ١٨٩٩-١٩٦٥ وبنفينيست ١٩٠٧-١٩٧٦ وتشومسكي ١٩٢٥.

٢- باعتبار كونها علماً تطبيقياً على كل لغة من اللغات الحية،أي دراسة كل لغة على حدة،وهو مانسميه دراسة اللسانيات بالاعتبار الخاص،وذلك عن طريق الإجراءات التطبيقية على موضوعات لغة معينة،ولاشك أن دراسة اللسانيات باعتبارها علماً كلياً وإن يظن أنه سابق على الاعتبار الثاني باعتبار أن معرفة القواعد العامة الكلية سابقة على معرفة تطبيقها وإجرائها على لغة معينة،بيد أن معرفة القواعد الكلية يأتي في الواقع بعد النظر في كل لغة على حدة،واستخلاص القواعد منها ثم مقارنتها بلغة أخرى حتى نصل الى استخلاص قواعد كلية عامة تشمل كل الألسنة،ولانقصد أن تدرس كل اللغات الحية،لأن قواعد اللسانيات الكلية العامة قامت بعد النظر في أكثر اللغات شيوعا وليس في كلها،كما أن هذه القواعد نظرت في المفاهيم الكلية الذهنية للغة التي لاتختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأصوات والأنظمة اللغوية.

والمقصود أن الاعتبار الخاص لايمكن تجاوزه لبناء النظرية اللسانية العامة التي تكونت من مجموع هذه الاعتبارات الخاصة.

وهذه المقدمة ممهدة للقول إن البلاغة العربية أسّست لمفهومين هما:

أ-اللسانيات بالاعتبار الخاص، وأقصد أسّست للسانيات اللغة العربية.

ب-اللسانيات بالاعتبار العام،وأقصد حاولت تأسيس مفهوم كلي شامل للكلام مطلقاً،أي اللسانيات بالاعتبار العام.

ولعموم البحث اللساني وتنوعه فإننا سنقصر البحث في في نظريتين لسانيتين كثر البحث فيهما وهما التداولية وعلم لغة النص في لسانيات اللغة العربية،وأما اللسانيات بالاعتبار العام فيمكن بحثها عند عبدالقاهر الجرجاني والسكاكي.

لقد استقر أمر البلاغة العربية على أن تكون في ثلاثة فنون هي فن المعاني وفن البيان وفن البديع،وهذه الفنون الثلاثة

استوعبت لسانيات اللغة العربية،ويمكن إبراز أهم ملامح لسانيات اللغة العربية من ثنايا هذه الفنون كما يأتي:

١-لم تبحث البلاغة العربية الجملة النحوية باعتبار مفهوم المبتدأ والخبر،بل بحثت الجملة من حيث تضمنها مفهوم الإسناد وتعلق النسبة بالواقع،وذلك حين حصروا الكلام في الخبر والإنشاء٩٠ باعتبار علاقة مفهوم الجملة بالواقع الخارجي، وقد بحث هذا الموضوع فيما سمي بعلم المعاني الذي قصد به أداء المعنى بأكثر مماتدل عليه أوضاع الكلام٩١ ولعل المقصود غالباً وليس دائما، ،والنسبة التي تتضمنها الجملة الاسنادية التامة إما أن تكون توصيفاً للواقع المنجز أو الذي ينجز وذلك في الجمل الخبرية،وإما على طريق طلب الإنجاز وهو الإنشاء وقد وسمه السكاكي بقانون الطلب٩٢ الذي يتضمن أفعالاً تأثيرية في المتلقي،وطلب الإنجاز إما أن يكون ذهنياً كما في الاستفهام والتمني اللذين علّق السكاكي حصول الطلب فيهما بالذهن فقط٩٣ أو مع الواقع الخارجي أي طلب الإنجاز في الذهن والواقع الخارجي كما في الأمر والنهي والاستفهام إذ قال السكاكي((وأما الأمر والنهي والنداء فلطلب الحصول في الخارج))٩٤ أي طلب حصول المعنى أو طلب حصول الانتفاء،وقد يقال كيف يكون النهي إنجازاً في الواقع مع أنه طلب الترك كما في قولنا لاتتحرك، ويجيب السكاكي عن هذا بقوله((فإنك تطلب بهذا الكلام انتفاء الحركة في الخارج))٩٥،وبقي أمر بحثته لسانيات البلاغة العربية وهو مفهوم الطلب في الأمر والنهي والذي وسم عند التداوليين بالفعل التأثيري٩٦،فهل يستدعيان تأثير المعنى في المتلقي بحيث يوجب بهما المتكلم على المتلقي إنجاز المعنى على الفور أم إن الأمروالنهي يستدعيان إنجاز النص مطلقاً وإن لم يكن على الفور؟وقد اختار السكاكي أن حقهما وجوب الإنجاز على الفور إلا إذا اقترن بالنص قرائن تستدعي التراخي٩٧،فالحكم للقرائن حينئذ،وهذا البحث قد استوعبه علماء الأصول٩٨،لأن بحثهم كان في تحقيق المكلّف النصوص الشرعية،أي في تنجيزها في الواقع ،وهذا البحث البلاغي هو ماأنتجته جهود أوستن((AUSTINوسيرل(Searle) في مجال الأفعال الكلامية حين بحثوا الأفعال الإخبارية التقريرية الوصفية والأفعال الأدائية المتعلقة بالصيغ،ولابد من الإشارة الى أن الأفعال الأدائية لم يقصد بها أوستن الأفعال الإنشائية في البلاغة العربية تماماً،لأنه أدخل فيها أفعال الاعتذار والوعد٩٩،والمقصود أن تقسيمه قام على علاقة مفهوم النص بالواقع.

٢- اهتمت اللسانيات الحديثة كثيراً بأفعال الكلام غير المباشرة ،فقد ميزسيرل بين نوعين من الأفعال وهما الأفعال الإنجازية المباشرة وهو التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم أي إن مايقال مطابق لما يقصد،وأما الأفعال الإنجازية غير المباشرة فهي التي تخالف قوتها الإنجازية دلالات النص الوضعية ويتوصل فيها المتلقي الى المقصود عبر عمليات استدلالية ذهنية١٠٠.

ولم تضع التداولية قانوناً لمعرفة متى ينتقل النص من الفعل الكلامي المباشر الى الفعل الكلامي غير المباشر،فقد أخفقت هنا في وضع قانون لتمييز النوعين،ولكن البلاغة العربية وضعت قانونا لمعرفة الدلالة عير المباشرة ومايلزم منها،ويمكن أن نضع هذا القانون ضمن اللسانيات بالاعتبار العام ليكون قانونا كلياً وليس خاصاً باللغة العربية،وهذا القانون هو :الدلالة غير المباشرة للكلام تكون حين يمتنع إجراء النص اللغوي على أصل الدلالة الوضعية١٠١.،فإذا لم نستطع حمل الاستفهام على أصل وضعه الذي هو طلب التصور أو التصديق فتكون دلالة الاستفهام غير مباشرة،كماإذا قلت لمن تراه يؤذي أباه:(أتفعل هذا)؟،فالاستفهام لايصححمله على أنه استفهام عن حقيقة الفعل أهو منجز أم لا؟لأنك تراه يؤذي أباه،فتوجه الدلالة حينئذ الى دلالة مستلزمة وهي(أتستحسن أذية أبيك) مثلاً،ويتولد من هذه الدلالة دلالة أخرى وهي الإنكار والزجر عن أذية أبيه١٠٢،ولاشك أن السياق المقالي أو المقامي المصاحب للنص هو المؤذن بالانتقال الى الدلالة غير المباشرة.

٣-إنجاز الكلام ومناسبات الأحوال:وضع البلاغيون قانوناً يعرف بهأثر المقام في تغيّر دلالة النص وتحوله من دلالاته الوضعية الى دلالات أخرى قصدها المتكلم،وهذا القانون هو:متى امتنع إجراء النص على أصل معناه تولد منه ماناسب المقام،وهذا القانون أشار له السكاكي حين تكلم عن الخبر والإنشاء بعد ذكره الأبواب الخمسة التي يتضمنها قانون الطلب عنده فقال((متى امتنع إجراء هذه الأبواب على الأصل تولد منها ماناسب المقام))١٠٣ ،ويلحظ أنه لم يقل استلزم منها بل قال تولد منها،فكأن

الجملة الثانية التي قصدها المتكلم لم تكن لتوجد لولا الجملة الأولى،ويمكن أن نستنبط من هذا القاعدة شروطاً وضعها علماء البلاغة لإنجاز معاني الكلام غير المباشرة وهي:

أ- أن توافق معاني الكلام غير المباشرة مقتضى الحال والاعتبار المناسب.

ب- أن يكون المتكلم قصدها أولاً وبالذات،ولكنه توصل إليها بلفظ آخر ليحقق المتلقي انتقالاً ذهنياً من المعنى الأول الى المعنى الثاني أو الثالث المقصود،فيحصل عند المتلقي استلزام ذهني بعد تصور المعنى الأول غير المقصود فينتقل منه الى المعنى الثاني المقصود.

ت- الربط بين الاستلزام ومقتضى الحال:فلا استلزام إن لم يكن مقتضى الحال مناسباً له،فالاستلزام ملزوم لحصول مقتضى الحال ومناسبات الأحوال واعتبارات المقام.

ث- اعبتار القانون الذي ذكره السكاكي(متى امتنع إجراء هذه الأبواب على الأصل تولد منها ماناسب المقام)هو استدلال بلاغي،وذلك أن القضية الثنية المقصودة والمطوية والمعتبرة أولاً وبالذات متولدة من القضية الأولى المنطوقة،فالقضية الأولى المنطوقة هي دليل الى المقصود المطوي.

٤-لقد ربطت البلاغة العربية بين الثوابت والمتغيرات بطريقة تلازمية استدلالية،وذلك من خلال مااصطلح عليه الملازمات بين المعاني والمرجع في التلازم هو العرف العام أو الخاص١٠٤،والثوابت هي الدلالات الوضعية للكلام التي لايتغير المعنى الواحد فيها بتغير الألفاظ المرادفة للمذكور كقولنا خد زينب يشبه الورد ((لأنا إذا أقمنا مقام كل كلمة منها مايرادفها،فالسامع إن كان عالماً بوضعها لتلك المفهومات كان فهمه إياها من المترادفات كفهمه إياها من تلك الكلمات من غير تفاوت))١٠٥،فالدلالات الوضعية للكلام هي الثوابت والمتغيرات هي مايتولد من الدلالات الوضعية التي لاتنفك اللغة عنها غالبا،ولهذا عبر ابن جني عن هذا المعنى بقوله ((إعلم أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لاحقيقة))١٠٦،فلاإهمال للثوابت الوضعية التي لاتنفك اللغة عنها،كما أنهلاينبغي تجاوز المتغيرات التي تتولد من هذه الثوابت باعتبارها ملازمات حاضرة في ذهن المتلقي بسبب مايقترن بالكلام من أعراف عامة أو خاصة تخرجه عن أصل دلالاته الوضعية الثابتة،وإنما كانت الدلالات المجازية متغيرة لأن هذه الدلالات المجازية نفسها تتغير بتغير العرف الذي حوى النص،فقد ينتج المتكلم نصاً له دلالة متغيرة(مجازية) أي له لازم يفيد معنى آخر قصده المتكلم ولكنه في عرف آخر له لازم آخرمع بقاء الدلالة الوضعية للكلام ثابتة ،لأن الدلالة الوضعية هي قانون كلي ثابت،وأما الاستلزام أو الدلالة المتغيرة فراجعة الى العرف الذي تتغيرفيه دلالات الكلام بتغير الزمان والمكان ومايقترن بهما.فمثلا في عرف العراقيين إذا قيل فلان رأسه كبير،فيقصد به في العرف السابق كلمة ذم يعاب بها المقول له،وأما الان فهي كلمة مدح يقصد بها انه ذكي أو ان له مكانة بين الناس.

٥- تحقق الجهة الجامعة بين الجمل المتتالية شرط لتحقق النص:وهذا ماعبر عنه في علم لغة النص بالحبك١٠٧،كما عبرعنه بالانسجام١٠٨ ،وقد بحث علماء البلاغة تحقق النص لأن دراساتهم لم تتناول الجملة فقد بل تناولت النص الذي يتضمن مجموعة متوالة من الجمل،وبحثوا طرق الربط بين الجمل في النص الواحد،وأما بحثهم مايطرأ على ركني الاسناد في فن المعاني فهو من أجل أن الكل لايفهم من دون فهم الجزء،باعتبار أن الكل(النص) هو مجموعة أجزاء(جمل) متوالية مترابطة.وقد تقدم في توصيفات البلاغة العربية أن الجهة الجامعة في الفكر البلاغي تتناول الربط اللفظي بالأداة والربط المعنوي القائم على العلاقات الدلالية بين الجملة السابقة واللاحقة.والأمر المهم في لسانيات البلاغة العربية في هذا الباب أن علماء البلاغة ضبطوا طرائق ربط الجمل في النص الواحد.

٦- القصد هو الذي يؤثر في إنتاج النص:تعد القصدية من المعايير السبعة لعلم لغة النص ويقصد بها الطرق التي يتخذها المؤلف لاستغلال نصه من أجل الوصول الى مقاصده١٠٩،وقد حاول علماء البلاغة بيان مقاصد الكلام الكلية والجزئية في ضوء مفهوم نصي

شامل،وقد تقدم أن المقاصد الكلية المستقرأة من كلامهم خمسة وهي: الإيضاح والمبالغة والجمال والإثارة والإيجاز ،وهذه المقاصد الكلية تأتي بعد اعتبار دلالة النص المباشرة أو غير المباشرة.وقد تضمنت كتب البلاغة العربية ذكر مقاصد كل باب من أبواب البلاغة،ويمكن أن يقال إن لسانيات البلاغة العربية حددت طريقة دراسة البلاغة على وفق مقاصدها،فمن أراد الايضاح في كلامه فله عدة طرق لينجز هذا المقصد كأن يأتي بالكلام من غير حذف أو يأتي بالتشبيه المفصل أو يأتي باسلوب يتضمن المقابلة،ومن أراد المبالغة والتأكيد في كلامه فله عدة طرق لينجز هذا المقصد كأن يأتي بالكلام مبتدئاً بأدوات التأكيد أو يأتي بأسلوب التشبيه البليغ أو يأتي بالاستعارة أو بالكناية مثلا،ولهذا الموضوع مزيد بحث في كتاب يبحث في دراسة علم البلاغة على وفق مقاصدها،نسال الله له التمام والقبول.

٧- الاستدلال والحجاج في البلاغة العربية:جمعنا الاستدلال والحجاج هنا لأن الحجة والدليل شيء واحد من حيث الواقع ولكن الحجاج اللغوي يختلف عن الحجاج المنطقي لأن الحجة في المنطق هي ((التي يؤتى بها في إثبات ماتمس الحاجة إلى إثباته من العلوم التصديقية،وهي ثلاثة أقسام قياس واستقراء وتمثيل))١١٠،فوظيفة الحجة في المنطق هي إثبات القضايا،والإثبات لايكون على سبيل اليقين ،لأن إثبات العلوم التصديقية يكون بالبرهان الذي يفيد في المفهوم المنطقي اليقين الضروري الدائم الأبدي١١١ أي الذي لايتخلف يتغير الزمان والمكان ،وأما البلاغة العربية فقد اتخذت الاستدلال أوالحجاج وسيلة لتحقيق مقاصد المتكلمين،والحجاج البلاغي استعمل ثلاثة أنواع من وسائل الحجاج ،وقد استقينا هذه الوسائل الثلاثة من مجمل كلام المناطقة،فقد قسموا القياس الى جدلي وخطابي ومغالطي(سوفسطائي)والمعتبر في اللغة والمخاطبات والتعليمات هو القياس الخطابي١١٢ ،والوسائل التي استعملها علماء البلاغة هي ماأشار اليه علماء المنطق عند بحثهم المقدمات الصالحة للخطابيات١١٣،وإن كان في ظننا أن علماء البلاغة لم يأخذوا هذه الوسائل من الفلسفة أو المنطق ،بل هو ماأملاه عليهم الواقع اللغوي، والوسائل وهي:

١- المشهورات،اي ماهو مشهورفي عرف الناس كحسن صلة الأرحام وملازمة الصدق في الكلام ومراعاة العدل في القضايا والأحكاموالحكم بقبح إيذاء الإنسان وقتل الحيوان.

٢-المقبولات،أي الأمور التي يتلقاها العقل بالقبول ويعتقد بها الناس لأنها وصلتهم عمّن يعتقد صدقه،فهذه تثير الظن في الذهن،كتصديق الاستذة أو الآباء فيما يقولونه مثلا.

٣-المظنونات،وهي التي يقع بها الظن عند سماعها ولكن قد يخطر في العقل إمكان حصول نقيضها في الذهن،كقولنا فلان إنما يخرج بالليل لريبة ،فإن النفس تميل إليه ميلا ينبني عليه تدبير الأفعال ومراعاة المظنون والنفس لاشك يمكن لها الشعور بنقيضه لأن الأمر ليس يقينياً.

والحجاج البلاغي لايختص بفن من فنون البلاغة الثلاثة بل يجري في الفنون الثلاثة ولاسيما فني المعاني والبيان ،ويظهر في مجازات الكلام أي فيما خرج عن الأصل عموماً،ولكن يبرز الحجاج ويظهر في فن البيان القائم على الملازمات بين المعاني،لأن فن البيان هو فن قائم على انتقال الذهن من الملزوم الى اللازم،والعبرة في الانتقال من مفهوم مذكور الى مفهوم مقصود على وفق اعتبارات العرف العام أو الخاص،فالعبرة بما هو ثابت من الملازمات المشهورة أو المقبولة أو المظنونة في اعتقاد المخاطَب بحيث يمكن للمتكلم أن يطمع من مخاطبه أن ينتقل ذهنه من المفهوم الأصلي (المذكور) الى الآخر(المطوي المقصود) بواسطة ذلك التعلق بينهما في اعتقاده١١٤ ،ولأهمية الحجاج أو الاستدلال في علم البلاغة فقد وضع له السكاكي قسماً برأسه في مفتاح العلوم وأتبع قسم البلاغة به، وبيّن أنه أنما ذكر علم الاستدلال من أجل إكمال علم المعاني لأن علم المعاني لايكمل إلا بمعرفة الاستدلال لعظم الانتفاع بعلم الاستدلال ،وقد ذكرأنه لم يذكر طرائق الاستدلال ووسائله في علم البلاغة لأن علم البيان قد تضمن الاستدلال والحجاج

البلاغي فقد ذكرأن((من أتقن أصلاً واحداً من علم البيان كأصل التشبيه أو الكناية أو الاستعارة ووقف على كيفية مساقه لتحصيل المطلوب به أطلعه ذلك على كيفية نظم الدليل))١١٥،والتشبيه والاستعارة والكناية نرى فيها المتكلم يذكر الدليل على مدعاه ،والمدعى هو عين المقصود في الكلام،فقولنا رأيت أسداً فيه دعوى حجاجية بإلحاق الأضعف بالأقوى على وجه التسوية بينهما على وجه إدعاء ملزوم الأضعف من جنس ملزوم الأقوى باطلاق الأسد على شخص معين مثلا ،للتوصل الى المطلوب١١٦،أي أن يكون عندك شجاع وأنت تريد أن تلحق جرأته وقوته بجرأة الأسد وقوته،فتدعي الأسدية له بإطلاق اسمه عليه مفرداً له بالذكر فتقول رأيت أسداً كيلا يعد جرأته وقوته دون جرأة الأسد وقوته مع نصب قرينة مانعة عن إرادة الأسد الحقيقي مثل كلمة يرمي أو يتكلم أو في القاعة مثلا.والكناية هي ترك التصريح بذكر الشيء الى ذكر مايلزمه لينتقل من المذكور الى المتروك كقولنا فلانة نؤوم الضحى،لينتقل منه المخاطب الى ماهو ملزومه وهو كونها مخدومة غير محتاجة الى السعي بنفسها في إصلاح المهمات وذلك أن وقت الضحى وقت السعي الى الخدمة وحاجيات البيوت فلاتنام في وقت الضحى إلا من تكون لها خدم ينوبون عنها في السعي١١٧،فقد أخفى وجه المطلوب بذكر الدليل عليه وهو المصرح به،وعموما نقول كل ماخرج عن أصل وضعه من الكلام يتضمن استدلالاً وحجاجاً بذكر المصرح به ليصل المتلقي الى المقصود المطوي الذي هو النتيجة التي يطلبها المتكلم،وقد يقع الاستدلال في الكلام الذي يتضمن الحقيقة كذلك،كما هو معلوم بأن يذكر المتكلم الدليل على دعواه نصاً وهو ظاهر.

وبعد فلا شك أن البلاغة العربية تتضمن عمقاً في البحث اللساني ،ولازالت الدراسات البلاغية فتية في بحث مقاصدها ووظائفها ووسائل تحقيق هذه الوظائف،لأن البلاغة العربية لم توضع باعتبارها علماً يدرك به سمات جمال النص اللغوي فقط كما يظن بعض الباحثين بل وضع علم البلاغة ليكون وسيلة الى إنجاز النص اللغوي السليم لغةً والمستقيم معنىً والجميل تركيباً والمتضمن اسلوباً استدلالياً يمكن به إقناع المخاطب،ولانجد هذه الأمور في أي علم من علوم اللغة،كما أن البلاغة العربية هي وحدة واحدة لاتنفصل في الاستعمال وإن فصلت في الدراسة وجعلت ثلاثة أقسام هي المعاني والبيان والبديع،لأن هذه الاقسام أو الفنون الثلاثة متلاحمة يتحصل من مجموعها البلاغة العربية،فالجملة الواحدة في النص قدتكون خبرا وأستعارة وتتضمن لوناً بديعياً،كقول الله تعالى(وآية لهم الليل نسلخ منه النهارفإذا هم مظلمون)١١٨،فقد تضمنت الآية خبراً لأنها جملة خبرية، واستعارة لأن المستعار له ظهور النهارمن ظلمة الليل والمستعار منه ظهور المسلوخ من جلدته،فكأنه شبه خروج النهار من الليل بخروج المسلوخ من جلده، وأما الطباق فيتمثل في الليل والنهار. والبلاغة العربية لن تجمد ولن تتقيد بما ذكره علماؤها لأنها متكثرة بما تثيره النصوص اللغوية من قضايا بلاغية غير محصورة،ولهذا لم يزل علماء البلاغة حين يعدّون مقاصد الأبواب البلاغية يذيلون كلامهم بقولهم: أو لاعتبار آخر مناسب مثلا١١٩ ،ليفيدوا أن المقاصد غير محصورة وأن ملازمات المعاني غير محصورة لرجوعها الى الاعراف المتغيرة.

الهوامش

١- سورة الرحمن الآية ٤

٢-البيان والتبيين :١/٧٥

٣-المصدر نفسه:١/٧٦

٤-المصدر نفسه:١/٨٨

٥- المصدر نفسه:١/٨٨

٦- المصدر نفسه:١/٨٨

٧-المصدر نفسه:١/٨٩

٨- المصدر نفسه:١/٩٦

٩- المصدر نفسه:١/٩٧

١٠ المصدر نفسه:١/٨٨

١١- المصدر نفسه:١/١٦

١٢- المصدر نفسه:١/١٦

١٣- المصدر نفسه:١/١٣٩

١٤- المصدر نفسه:١/٢١٠،٩٨ ومابعدها//الحيوان:١/٨٨ ومابعدها.

١٥-الحيوان:١/٩١

١٦-البيان والتبيين:١/٨٩

١٧- المصدر نفسه:١/١٣٧،وينظر:١/٢٥٥،١٤١//الحيوان:١/١٨

١٨-البيان والتبيين:١/٦٥

١٩- المصدر نفسه:١/٦٢

٢٠- المصدر نفسه:١/٦٧،العمدة:١/٢٥٧

٢١-البيان والتبيين:١/٦٥

٢٢- المصدر نفسه:١/٢٠٦

٢٣- المصدر نفسه:١/٢٠٥

٢٤- المصدر نفسه:١/١٥٢،الحيوان:١/١٥٣و٣/١٧٢و٤/٤٢٢،٢٩٨ ومابعدهاو٥/١٣-١٤.

٢٥البيان والتبيين:٢/١٤٧-١٤٨

٢٦-البديع/١٤٧

٢٧-سورة النحل الآية ١٦

٢٨- المصدر نفسه:١/١١٢

٢٩- المصدر نفسه:١/١١١-١١٤

٣٠الحيوان:٥/٢٢٧

٣١- البيت لمعوّد الحكماء معاوية بن مالك ينظر المفضليات/٣٥٩

٣٢-الحيوان:٥/٢٢٧

٣٣-الشعر والشعراء:١/٦٦

٣٤-المصدر نفسه:١/١٠٢

٣٥- المصدر نفسه:١/٩٩

٣٦- المصدر نفسه:١/١٠٤

٣٧- المصدر نفسه:١/٩٦-١٠٤

٣٨-العمدة في محاسن الشعر:١/١٢٩-١٣٠

٣٩- المصدر نفسه:١/٢٥٧-٢٥٨

٤٠- العمدة في محاسن الشعر:١/١٣٠-١٣١

٤١-النكت في إعجاز القرآن/٦٩

٤٢- المصدر نفسه/٦٩،وينظر بيان إعجاز القرآن/١٩-٢١//إعجاز القرآن(الباقلاني)/٥٠-٥٢.

٤٣-النكت في إعجاز القرآن/٧٠//إعجاز القرآن(الباقلاني)/٢٣٩.

٤٤-بيان إعجاز القرآن/٢٤،٢٥،٣٣

٤٥- بيان إعجاز القرآن/٢٦

٤٦- بيان إعجاز القرآن/٣٤

٤٧-النكت في إعجاز القرآن/٧١،٧٤-٨٧.

٤٨-إعجاز القرآن/٢٦٨-٢٦٩.

٤٩ينظر الشاهد القرآني في البلاغة العربية/٩

٥٠-كتاب الصناعتين/٥٦

٥١-الطراز المتضمن لعلوم البلاغة/١١

٥٢-بيان إعجاز القرآن/٣٥-٣٧.

٥٣الحيوان:٥/٢٢٦

٥٤-تأويل مشكل القرآن:١/٢٣

٥٥-المصدر نفسه:١/٢٨.

٥٦-أسرار البلاغة/٣٧٤

٥٧-دلائل الإعجاز/٣٧

٥٨-المصدر نفسه/١٠٨-١٠٩

٥٩-المصدر نفسه/٢٤٣ ومابعدها.

٦٠-المصدر نفسه/٢٩٣-٢٩٥.

٦١-أسرار البلاغة/٣٨٥،٣٥٠،٢٠٣،٢٠١،١٩٣.

٦٢-المصدر نفسه/٣٩٩.

٦٣-المصدر نفسه/٣٩٩.

٦٤-دلائل الإعجاز/٢٦٢.

٦٥-المصدر نفسه/٢٦٣.

٦٦-مفتاح العلوم/٣٣٠

٦٧-المصدر نفسه/١٦٣

٦٨- المصدر نفسه/٤٢٣

٦٩- المصدر نفسه/١٦١

٧٠-الإيضاح/٩١

٧١-مفتاح العلوم/١٦٢.

٧٢-المطول/٥٠٦.

٧٣-الإيضاح/٤٩٥

٧٤-المصدر نفسه/٧٨

٧٥- المصدر نفسه/٨٢-٨٣

٧٦-الكتاب:١/٢٥.

٧٧-دلائل الإعجاز/١١٢

٧٨-الإيضاح/٢٨٠

٧٩- المصدر نفسه/٢٨١-٢٨٢،والمطول/٤٦١.

٨٠-مفتاح العلوم/٢٤٨ ومابعدها ،//الإيضاح/٢٦٣ ومابعدها، //المطول/٤٣٤ ومابعدها.

٨١-الإيضاح/٢٧٧.

٨٢- المصدر نفسه/٢٦٤-٢٦٦.

٨٣- المصدر نفسه/٢٧٧.

٨٤-دلائل الإعجاز/٢٢٢//المثل السائر:٢/٧٦.

٨٥-الإيضاح/١٠٢.

٨٦- المصدر نفسه/١٢٠

٨٧- المصدر نفسه/١٧٩-١٨٠

٨٨- المصدر نفسه/١٢٢

٨٩-الطراز/١٣١-١٣٣

٩٠-الإيضاح/٩٣

.٩١- مواهب الفتاح/

٩٢-مفتاح العلوم/٣٠٢

٩٣- المصدر نفسه/٣٠٣

٩٤- المصدر نفسه/٣٠٤

٩٥- المصدر نفسه/٣٠٤

٩٦-استراتيجيات الخطاب/٧٥

٩٧-مفتاح العلوم/٣٢٠

٩٨-البحر المحيط في أصول الفقه:٢/١٠٩

٩٩-نظرية أفعال الكلام/١٧

١٠٠-استراتيجيات الخطاب/١٨

١٠١-مفتاح العلوم/٣٠٤

١٠٢- المصدر نفسه/٣٠٥

١٠٣- المصدر نفسه/٣٠٤

١٠٤- المصدر نفسه/٣٣٠

١٠٥-المطول/٥١١

١٠٦-الخصائص:٢/١٤٩

١٠٧-مدخل الى علم اللغة النصي/٣٧

١٠٨-النص والخطاب والإجراء/٥٢

١٠٩-نظرية علم النص(رؤية منهجية في بناء النص النثري)/٤٧

١١٠-معيار العلم/١٣١

١١١- المصدر نفسه/٢٥٥

١١٢- المصدر نفسه/١٨٥

١١٣- المصدر نفسه/١٨٥-١٨٦

١١٤-مفتاح العلوم/٤٣٥

١١٥- المصدر نفسه/٣٧٤

١١٦- المصدر نفسه/٤٠٢

١١٧-الإيضاح/٤٧٥

١١٨-سورة يس الآية

١١٩-الإيضاح/٢٢٠،١٨٦،١٦٦،١٤٦،١٣٦،١٢٦،١٢٠،وغير هذا من المواضع.

المصادر والمراجع

١.استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية:عبدالهادي بن ظافر الشهري،دار الكتاب الجديد المتحدة ،ط١،بيروت –لبنان،٢٠٠٤م.

٢.أسرار البلاغة:عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني(ت٤٧١ أو ٤٧٤ه)علق عليه محمود محمد شاكر،مطبعة المدني ،مصر ط١ ،١٩٩١م.

٣.إعجاز القرآن:أبو بكرمحمد بن الطيب الباقلاني(ت٤٠٣ه) ،عالم الكتب،بيروت،ط١ ،١٩٨٨

٤.الإيضاح في علوم البلاغة:جمال الدين أبو المعالي محمد بن عبدالرحمن الخطيب القزويني(ت٧٣٩ه) ،شرح وتعليق وتحقيق د.عبدالمنعم خفاجي وجماعته،دار الكتاب المصري،القاهرة ،ط٣ ،١٩٩٠ .

٥ □٧٩٤ه)ضبط نصوصه د.محمد محمد تامر،دار الكتب العلمية،بيروت – لبنان،ط١ ،٢٠٠٠م.

٦. البديع في البديع:أبو العباس عبدالله بن محمدبن المعتز (ت٢٩٦ه)دار الجيل،بيروت،ط١،٢٠١٠م.

٧. بيان إعجاز القرآن(ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن):أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي(ت٣٨٨ه)، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول،دار المعارف،مصر.

٨. تأويل مشكل القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)تح: إبراهيم شمس الدين دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٩. الحيوان: أبو عثمان عمرو بن بحر بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ) دار الكتب العلمية – بيروت،ط٢ ،١٤٢٤ ه.

١٠. الشاهد القرآني في البلاغة العربية:د.نشأت علي محمود،بحث مقبول للنشر في مجلة اللغة والأدب،جامعة الجزائر٢ ،ينشر في العدد ٢٧،٢٠١٦م.

١١. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة:يحيى بن حمزة العلوي اليمني(ت ٧٤٩) ،مراجعة محمد عبدالسلام شاهين،دار الكتب العلمية،بيروت،ط١، ١٩٩٥

١٢. العمدة في محاسن الشعر:أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)تح: محمد محيي الدين عبد الحميد :دارالجيل،ط١،١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

١٣. كتاب الصناعتين:أبو هلال العسكري (ت) ،تح:علي البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم،عيسى البابي الحلبي،ط١،القاهرة،١٩٥٢.

١٤. المثل السائرفي أدب الكاتب والشاعر:أبو الفتح ضياء الدين نصر الدين بن محمد بن الأثير الموصلي(٦٣٧ ه) ،المكتبةالعصرية،بيروت،٢٠١٠.
١٥. مدخل الى علم اللغة النصي:فولجانج هاينه مان وديتر فيعفجر،ترجمة وتحقيق فالح بن تشيب،دار الفجر ،الرياض،ط١٩٩٩،١م.
١٦. المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم:سعد الدين مسعود التفتازاني(ت٧٩٢ه)تح عبدلحميد هنداوي،دار الكتب العلمية،بيروت،ط٢٠٠٧،٢م
١٧. معيار العلم :أبو حامد محمد بن محمد الغزالي(ت٥٠٥ه) ،تح:د.سليمان دنيا،دار المعارف،مصر،١٩٦٠
١٨. مفتاح العلوم:أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد السكاكي(ت٦٢٦ه) ،ضبطه وشرحه نعيم زرزور،دار الكتب العلمية،بيروت،ط١٩٨٣،١
١٩. المفضليات: المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (ت نحو ١٦٨ه)نتحقيق: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون،دار المعارف – القاهرة،ط٦.
٢٠. مواهب الفتاح شرح تلخيص المفتاح:أبن يعقوب المغربي(ت١١٦٨ه)تح:،المكتبة العصرية،بيروت –صيدا،٢٠٠٦
٢١. النص والخطاب والإجراء:روبرت دي بوجراند،ترجمة د. تمام حسان،عالم الكتب،ط١،القاهرة،١٩٩٨م.
٢٢. نظرية أفعال الكلام:جون أوستن،ترجمة:عبد القادر قنيني،دار افريقيا الشرق،الدار البيضاء-المغرب،١٩٩١م.
٢٣. نظرية علم النص(رؤية منهجية في بناء النص النثري):د.حسام أحمد،مكتبة الآداب ،القاهرة،ط٢٠٠٧،١م.
٢٤. نقد الشعر: قدامة بن جعفر بن قدامة البغدادي (ت ٣٣٧هـ)مطبعة الجوائب – قسطنطينية،ط١ ، ١٣٠٢ه.
٢٥. النكت في إعجازالقرآن(ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)أبوالحسن علي بن عيسى الرماني(ت٣٨٦ه)، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول،دار المعارف،مصر.